المبحث السابع

الغلاة من أهل السُّنة

● الحشوية المشبهة

والغلو قد يكون بتأليه الإنسان ، وقد يكون بأنسنة الإله ، غُلو يرفع البشر إلى مستوى الألوهية ، وقد رأيناه عند بعض غلاة الشيعة ، وغُلو يخفض مقام الألوهية إلى مستوى البشرية ، وهم الحشوية غُلاة أصحاب الحديث ، وهم ينسبون إلى أهل السُّنة ، الذين يتبرأون منهم كما يتبرأ الشيعة من كل مَنْ أَلَّه إماماً .

ويذكر الشهرستاني من أسماء الحشوية : مُضَر وكَهْمَس وأحمد الهجيمي ، وهم الذين أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنياوالآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض» ويَحكي عن رجل اسمه داود الجواربي أنه كان يقول :« **اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك !**» وكان يقول :« إن معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء : من يدٍ ورجْلٍ ورأسٍ ولسان وعينيْنْ وأذنيْن ، ومع ذلك (هو) : جسم لا كالأجسام ، ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء . وكذلك سائر الصفات ، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء» .

ـ **فالحشوية أجروا الآيات التي ذَكَرتَ الاستواء والوجه واليدين والمجيئ والفوقية ، على ظاهرها** . والشيء نفسه صنعوه في الأحاديث النبوية [1] . وهذا الكلام لغو باطل ، مرفوض عند أهل القبلة جميعاً .

ـ أما أهل الحديث من أهل السُّنة فكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا :« من حرك يده عند قراءة قوله تعالى ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص:٧٥] أو أشار

---

(١) الملل والنحل ؛ جـ ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٦

بأصبعه عند روايته :« قلبُ المؤمن بين أصبعيْن من أصابع الرحمن » وَجَبَ قطْع يده وقلْع أصبعيه »[١]

● غلاة الصوفية

ويصور لنا الكواكبى رحمه الله غلاة الصوفية فيقول إنه ظهر من الصوفية فى القرن الخامس وما بعده :« بعض غلاة دهاة ، رأوا مجالاً فى جهل أكثر الأمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً كمقام النبوة ، بل الألوهية، باسم الولاية والقطبانية أو الغوثية، وذلك بما يَّدعون من القوة القدسية و التصرف فى الملكوت ، فوسعوا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكَمْ ، بنوها على زخارف التأويلات والكشف ، والتحكمات ، والمثال والخيال والأحلام والأوهام ، وألَّفوا فى ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة ، محشوة بحكايات مكذوبة ، من تفسيرات مخترعة ، وقضايا وتركيبات لا مفهوم لها ألبتَّه ، حتى ولا فى مخيِّلة قائلها »[٢]

ويتحدث الصوفية عن كرامات أوليائهم « الناقضة للعادة أو الخارقة للعادة » فيقول القشيرى رحمه الله – :« **إن هذه الكرامات قد تكون : إجابة دعوة ، وقد تكون إظهار طعام فى أوان فَاقَة من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء فى زمان عطش ، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة ، أو تخليصاً من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف ، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة** »[٣] و « ... أَجَلُّ الكرامات التى تكون للأولياء : دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصى والمخالفات »[٤]

● وفيما يلى نماذج للكرامات المناقضة للعادة :

ـ فقد زعم بعضهم أنه رأى القطب الغوث – وهو صاحب أعلى رتب الولاية ـ سنة ٣٠٩هـ فى مكة المكرمة ، يركب عربة من ذهب والملائكة يجرونها فى الهواء بسلاسل من ذهب . [٥]

وغضب أبو سليمان الدارانى على تلميذه أحمد بن الحوارى لأنه قاطعه وهو مشغول القلب ، **فأمر بإدخاله فى التنور وهو مشتعل ، فأدخل . وبعد مدة أخرجوه فإذا به لم يصب بأى أذى !** [٦]

---

(١) نفسه ؛ ص١٠٤ (٢) عبد الرحمن الكواكبى ؛ الأعمال الكاملة ؛ ص ٢٣٢
(٣) الرسالة القشيرية ؛ جـ ٢ ص٦٦٤ (٤) نفسه ؛ ص٦٦٧
(٥) عبد الوهاب الشعرانى ؛ الأجوبة المرضية ؛ص٤٢٢ (٦) نفسه ؛ ص٤٢٠

وزعم «الخواص» أن الكعبة المشرفة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولى : «حجراً حجراً ، ثم رجع كل حجر إلى مكانه !» [1] الكعبة طافت حول الرجل لا العكس ! ولا نعلم أنها طافت بالنبى صلى الله عليه وسلم وآله ، بل هو الذى كان يطوف حولها !

● السيد البدوى

ويروى أن قاضى القضاة ابن دقيق العيد (٦٢٥-٧٠٢هـ) نصح أحمد البدوى فقال : ياأحمد ! هذا الذى أنت فيه ما هو مليح ، وأنت تارك للصلاة وللجمعة والجماعة ، وما هذا شأن الأولياء والصالحين . فقال البدوى : تأدَّب ! وإلا أطَيِّر دقيقك! **ثم دفعه دفعة لطيفة ، حملته إلى جزيرة واسعة ، وهناك لقى الخضر عليه السلام ، فطلب منه القاضى أن يشفع له عند البدوى** ، فأشار عليه بأن يذهب إلى قبة كانت فى الجزيرة ليقابل البدوى . **وهناك وجد البدوى يؤم جماعة من الأولياء . وبعد الصلاة تعلق القاضى بأذياله حتى يعفو عنه ، فدفعه دفعة لطيفة حملته إلى باب داره بمصر ! ومن هول الصدمة بقي ثلاثة أيام أخرس لا يتكلم !** [2]

فهذا جزاء النصيحة !

ـ وتجرأ رجل فنصح أبناء قريته بألاَّ يقصدوا احتفال مولد البدوى ، فَوَشَى به رجل آخر . فقال البدوى:« ستطلع له حبَّة ترعى فمه ولسانه» وقد كان حتى مات بها ! [3]

وأسر الإفرنج شاباً ، فتوسلت أمه إلى البدوى أن يطلق سراحه ، فأحضره إليها وهو فى قيوده »[4]

قلت : لماذا لم يطلق سراح جميع الأسرى المسلمين ؟

وعند الصوفية يمكن أن يوجد الولى فى عدة أماكن فى وقت واحد . [5] **فلا قدسية لقانون الهوية الذى يستند إليه الفكر الإنسانى نظراً وعملاً !**

---

(١) نفسه ؛ ص٥٦٦

(٢) نور الدين الحلبى ؛ سيرة السيد أحمد البدوى ؛ ص ١١٠-١١١

(٣) نفسه ؛ ص١١٩ (٤) الحلبى ؛ سيرة السيد أحمد البدوى ؛ ص١١٣

(٥) الشعرانى ؛ الأجوبة المرضية ؛ ص٤٢٣

● **ابن عربى وأنسنة الإله !**

ويعتبر ابن عربى من القائلين بأنْسنة الإله ، فنظرية وحدة الوجود التى قال بها تقول إن الله هو عين الأشياء وعين نفسه !

وتقول :«الحق هو عين كل معلوم» يعنى الله موجود فى كل ما هو معلوم والله عنده مُنزَّه ومُشبَّه معاً ! والحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها . فالله موجودوالأشياء موجودة ، والوجودان وجود واحد ! والله له وجودان : وجوده فى ذاته ، ووجوده فى شكل أشياء العالم !

فما نظرت عينى إلى غير وجهه ولا سمعت أذنى خلاف كلامه !

ـ وهذا منتهى الغلو فى أنسنة الإله ، بل «شيأنة» الإله ، أى تصوره كشىء مادى . فكل وجه يراه ابن عربى هو وجه الله وكل صوت يسمعه هو صوته ! (١)

وأحسب أننى لا أحتاج إلى كلام كثير لأثبت أن هذه الفلسفة تتناقض مع مذاهب أهل السُّنة ومذاهب أهل القبلة جميعاً .

ويغلو ابن عربى فى تعبيراته غلواً شديداً حتى يخرج من الملة !

من ذلك بيت الشعر القبيح القائل :

● **فيحمدنى وأحمده : ويعبدنى وأعبده !**

وقد حاول الشعرانى تفسير هذا البيت بما يزيل عنه فحشه ، لكنه زاد الطين بلة ! فقد أورد أقوالاً لابن عربى تؤكد أن العبادة ذلة للمعبود ، ولا تليق بجلال الخالق جل وعلا ! فإذا كان ابن عربى قد عرف هذا ، فلماذا قال ذلك البيت ؟ لماذا أثبته فى مؤلفه ؟ لماذا لم يمحه ؟ (٢)

وإلى شىء قريب من فكر ابن عربى ذهب الحسين بن منصور الحلاج . **فقد كان يقول :«أنا الحق» أى «أنا الحق الخالق» أى :«أنا الله !»** (٣) وقد أتى من الأقوال والأفعال ما أوجب كفره وقتله، عَلَى الزندقة التى ثبتت عليه بإقراره. (٤)

---

(١) ابن عربى ؛ فصوص الحكم ؛ المقدمة ؛ ص ١٨٨ ؛ ص٣٤٦

(٢) الشعرانى الأجوبة المرضية ؛ ص٣٩٤-٣٩٦

(٣) د. عبد الرحمن بدوى ؛ شخصيات قلقة فى الإسلام ؛ ص ٧٠

(٤) ابن تيمية ؛ جامع الرسائل ؛ ص ١٨٧ ، ١٩٩

● السهروردى

وأما السهروردى (شهاب الدين عمر) فادعى النبوة ، وزعم أن الله قادر على إرسال نبى بعد محمد ﷺ ، محتجاً بأن الله قادر علي كل شيء . والمغالطة هنا هى إغفال عقيدة خَتْم النبوة التي أكدها القرآن بقوله تعالى ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب : ٤٠] **فالله لن يخلق نبياً بعد محمد بإرادته العلوية لا عن عجز وغياب قدرة .**

ويغالى السهروردى فى تصوير رتبة المشيخة فيقول :« إن المجذوب المتدارك بالسلوك ، يبادئه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجب ، ويستنير بأنوار المشاهدة ، وينشرح صدره ، وينفسح قلبه ، ويتجافى عن دار الغرور ، وينيب إلى دار الخلود ، ويرتوى من بحر الحال ... ويقول معلناً : **لا أعبد ربًّا لم أره !** »(١)

فهل هو يطلب رؤية الرب تعالى ، أم يقرر أنه رآه ؟ وفى الحالتين لا سند له من الشرع عند السُّنة أو الشيعة .

ويكثر حديث الصوفية عن تجلّى الله تعالى لأوليائهم . وقد تتوالى أنوار التجلى على قلب الولى ، كالبروق المتتابعة المتصلة التى تحيل الليل إلى نهار دائم : « فالعوام فى غطاء الستر والخواص فى دوام التجلى »(٢)

● علم الصوفية من عند الله لا من الكتب !

والصوفية يقولون إنهم يتلقون العلم من الله تعالى ، لا من الكتب ولا من الأموات ، ويسخرون من العلوم الإسلامية التى يتلقاها العلماء بالإسناد . فيقول أبو يزيد البسطامى للفقهاء :« أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا نحن علمنا عن الحي الذى لا يموت »(٣) وهذا يتناقض مع قول السهروردى إن :كل علم لا يوافق الكتاب والسنة وهو مستفاد منها أو معين على فهمها أو مستند إليهما كائناً ما كان ، فهو رذيلة وليس بفضيلة »(٤)

---

(١) عوارف المعارف ؛ جـ ١ ص٢٤٣ (٢) الرسالة القشيرية ؛ جـ ١ ص٢٧٦

(٣) الشعرانى ؛ كتاب الجواهر والدرر ؛ ص١١٨

(٤) عوارف المعارف ؛ ص١٧١

ـ وقال عبد القادر الجيلى :«**أوتيتم معاشر الأنبياء اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا ! يعنى :حجرعلينا اسم النبى مع اطلاعنا على علمه من طريق كشفنا**»(١)

● الغلو فى التفسير

ـ والصوفية من بين أهل السُّنة ذهبوا فى تفسيرهم للقرآن مذاهب غريبة ومريبة . يقول الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله :«فهذا الذى قاله سهل التسترى والذى قاله أبو عبد الرحمن السلمى مشكل كالمروى عن ابن عباس ، بل وأعظم منه إشكالاً حيث ادَّعوا أن هذه الحروف (ألام ـ ألر ...الخ) ترمز إلى أسرار غيبية ومعان مكنية . وإذا جُمعت هذه الحروف على طريقة مخصوصة كان كذا وكذا ، بل ويَّدعون أحياناً أن هذه الحروف هى أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى فى خطابه العرب الأُمِّية التى لا تعرف شيئاً من ذلك . **وهذه كلها دعاوى يدَّعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليل برهانى أو إقناعى** . وكل ما أقوله فيها : إنها دعاوى محالة على الكشف والاطلاع، ودعوى الكشف والاطلاع لا تصلح دليلاً شرعياً بحال من الأحوال»(٢)

قال الإمام أبو الحسن المفسر رحمه الله :«صنَّف أبو عبد الرحمن السلمى «حقائق التفسير» ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر !»(٣) وقال النسفى :«النصوص على ظواهرها ، فالعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطن إلحاد»(٤)

ويعلق د . الذهبى على هذه التفاسير فيقول :«إن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلَّة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم . وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ، ولم يذيعوها على الناس فَيُوقعوهم فى حيرة واختلاف ، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك مراد الله من كلامه ، وإذا عارضه ما يُنقل فى كتب التفسير على خلافه فربما كذَّب به أو أشكل عليه ..»(٤)

---

(١) الشعرانى ؛ السابق ؛ ص ١٨١
(٢) التفسير والمفسرون ؛ ح٢ ص٣٩٤
(٣) نفسه ؛ص٣٩٩
(٤) نفسه ؛ ص ٤٠٨

● ادعاء النبوة

وادعاء النبوة أحد مظاهر الغلو من جانب مدعيها لنفسه ومن جانب من يدعيها لغيره . وفى عهد النبوة المحمدية ادعى النبوة الأسود العنسى فى اليمن ومسيلمة الكذاب فى اليمامة . (١) وعلى امتداد التاريخ الإسلامى توالى الأدعياء الكذابون ، ولا يزالون حتى اليوم ، بعضهم أشخاص بارزون فى أقوامهم ، وبعضهم أفراد عاديون ، استغلوا جهل من حولهم ، فصدقوهم ، حتى إذا ذاعت أخبارهم حوكموا وسجنوا وذهبوا أدراج الرياح .

ـ ومشهور جداً الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبى (٣٠٣-٣٥٤هـ) الذى اتهم بادعاء النبوة ، ونفاها عنه بعض نقاده . لكن بعض أبيات الشاعر تشير إلى صحة الاتهام . ومن ذلك قوله :

مـا مـقـامى بأرض نخلة إلاّ كـمـقـام المسيح بين اليـهـود !

وكان فى صغره اتصل برجل من المتفلسفة بالكوفة ، فَلَوَّث عقله بأفكار فلسفية مضطربة . وقد سئل عن حقيقة ادعائه النبوة فقال :«**هذا شىء كان فى الحداثة**» ولا يُعرف يقيناً إن كان المتنبى سنياً أو شيعياً . وكان هو حريصاً على إخفاء نسبه ، ولم يكن يُعنىَ بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبى . (٢)

● الغلو فى الفروع

● وقد يكون الغلو فى بعض ممارسات التعاليم العملية ، والشكلية منها خاصة، مثل التيامن، وتجصيص القبور، وإعفاء اللحية وقص الشارب، والسماع أو الغناء، والتصوير، والتعصب للمذهب ورفض المذاهب السُّنية الأخرى، ومخاصمة أتباعها، وصبغ الشعر وسَدْله، والصلاة خلف الحليق .

ـ هذا النوع من الغلو شائع بين السلفيين المعاصرين، حتى صار مذهباً يميزهم . وأعالج هنا مسائل: **قَصّ الشارب وإعفاء اللحية وحكم الصلاة خلف الحليق، وصبغ الشيب وسَدْل الشعر**، كنماذج لهذا النوع من الغلو لدى أهل السنة أو بعضهم، لأن تغطية المسائل كلها يخرجنا عن موضوعنا ويضخم الدراسة دون مسوِّغ.

---

(١) راجع المبحث الأول ـ حركة الردة .

(٢) عبد الرحمن البرقوقى ؛ شرح ديوان المتنبى ؛ المقدمات

● وأصل القضية أن إعفاء اللحية وتقصير الثياب، والاعتمام، تستند إلى تعاليم إسلامية تبتغي تمييز الجانب الخارجي المحسوس من شخصية المسلم، كما هي متميزة في المخبر والجوهر بعقيدة التوحيد، وفي السلوك الأخلاقي بالإيثار والغيرية. وهذه التعاليم تكملها أوامر أخرى تقضي بتحريم لِبْس الذهب للرجال، ومحاكاة الرجال النساء، والنساء الرجال، وتنظيم الولائم (العقيقة والزواج) واحتفالات الأعياد، واتخاذ التقويم الهجري، وطراز العمارة الإسلامي. ويهمل المسلمون العديد من هذه التعاليم، حتى الذين يغالون في إيجاب قص الشارب وإعفاء اللحية!

● قص الشارب

وفي قص الشارب ثلاثة أحاديث حيث قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لم يُؤخذ من شاربه فليس منا.»[1] وقال أيضاً «من الفطرة قصُّ الشارب.»[2] وأبعد رجلاً له شارب طويل فقصَّه.»[3] وعلى الرغم من القوة في الحديث الأول مما يرجح أنه للوجوب فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقص شاربه، بل كان يوفره، وكان إذا غضب فَتَلَهَ.[4] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يلقاه كل يوم تقريباً، ولم يؤثر عنه أنه أمره بقصه. والأرجح أن عمر فهم الأمر على أنه مستحب. وربما كان يقص أطراف شاربه وبذلك يحقق السُّنة مع بقاء الشارب بارزاً.

ـ ويقول ابن دقيق العيد رحمه الله إن أحداً لم يقل إن القصَّ واجب.[5] ومفهوم الأحاديث صريح بأن المطلوب القص، وليس الحلق الذي يأتي على أصول الشعر، بل إن الحلْق مخالف للأمر بالقص وسوء فهم له، ومن ثم يكون معصية للنبي ﷺ. ولكن بعض الغلاة يحلقون الشوارب ويحسبون أنهم بذلك يصيبون السُّنة، وهم يتنكبونها، والأدهى من هذا أنهم يعتبرون مجرد تقصير الشارب لا يجزئ، ومن ثم ينفرون من المقصرين نفوراً ظاهراً باعتبارهم عصاة!

● إعفاء اللحية

وقد جاء الأمر النبوي الكريم بإعفاء اللحية للغاية نفسها أعني مخالفة

(١، ٢، ٣) فتح الباري؛ رقم ٥٨٨٨ ورقم ٥٨٨٩ وشرحه – جـ ١٠ صـ ٣٣٧

(٤) فتح الباري؛ شرح الحديث؛ ص ٣٤٨-٣٣٥ (٥) الموضوع نفسه.

المشركين ، فقال صلى الله عليه وسلم وآله :« خالفوا المشركين ! وفّروا اللّحى وأحفُّوا الشوارب »[1] ومعروف أن المشركين العرب كانوا يوفرون لحاهم ، فلا يحقق المخالفة لهم إلا حَفُّ الشوارب . وكان المسلمون يعرفون كيف يخالفون المشركين ويحرصون على ذلك باعتباره علامة خارجية تبين أن ذلك الشخص مسلم .

ـ وفي العصر الحديث جاء المستعمرون إلى بلاد المسلمين بعاداتهم القبيحة ، وقلدهم السُّوقة أولاً ، ثم الكبراء ثانياً ، ثم عامة الأمة ، فحلقو اللحى والشوارب وحاكوهم في الملْبس والمسكن والمأكل وكل شيء تقريباً ، إلا من رحم الله تعالى ! وتحرك العلماء وبحثوا المسألة ، فذهب بعضهم إلى أن الإعفاء واجب والحلاقة حرام، وذهب آخرون إلى أن الإعفاء مستحب ، والحلاقة مخالفة لا تُذَم ، وذهب فريق ثالث إلى أن الإعفاء مباح وكذلك الحلاقة .

ـ ويقول الإمام الغزالي رحمه الله إن صيغة الأمر « وَفِّرُوا » تحتمل خمسة عشر وجهاً ، منها الوجوب والندب والإباحة والإرشاد والتأديب .[2] وهذه الصيغة : « ترجح جانب الفعل على جانب الترك بأنه ينبغي أن يوجد ». والواجب والمندوب واحد منهما ينبغي أن يوجد .فتوفير اللحى هو الأرجح . ولكن القول بأنه واجب يتطلب قرينة كالعقاب على الحلق أو الوعيد به أو غير ذلك . فإذا لم توجد قرينة ، كان العمل بالأمر مستحباً فقط ، وليس بواجب . **فإعفاء اللحية مستحب بناء على ذلك ، وترك المستحب لا يستحق الذم** .[3]

ـ وغير المسلمين اليوم يعفون لحاهم ويقصون شواربهم ، فلم يعد الإعفاء كافياً لتحقيق المصلحة الشرعية المبتغاة من ورائه . ويقول الأصوليون إن السبب الذى جُعل لمصلحة يفقد مشروعيته إذا ثبت أنه لا يحققها .[4] وهذه ليست دعوة لحلق اللحى ، معاذ الله ، ولكنها دعوة إلى معرفةالسُّنة معرفة سديدة ، ومن ثم البرْء من الغلو وتكفير المخالف والنفرة من المسلمين ومخاصمتهم دون داع .

---

(١) نفسه ، رقم ٥٨٩٣ ؛ ورقم٥٨٩٢ ؛ ص٣٣٤؛ ص٣٤٩

(٢) المستصفى ؛ ص٢٩٣ (٣) نفسه ؛ ص ٨١-٩٢

(٤) الموفقات ؛ جـ ١ ص ١٧٠، ١٧٣

● حكم الصلاة خلفَ الحليق

مما سبق علمنا أن الحليق تارك لمستحب ، وترك مستحب لا يكفِّر ولا يفَسِّق . وقد علمتنا السُنة المطهرة أن الشطر الأول لإمامة الصلاة هو : إجادة قراءة القرآن الكريم . لقوله صلى الله عليه وسلم وآله :« يؤُمُّهم أقْرؤُهم لكتاب الله »(١) وأقرؤهم يعنى أفقههم .(٢)

ولم يُذكر إعفاء اللحية كشرط للإمامة . وإذا توفر الشرط الجوهرى جاز أن يؤم المصلين : المبتدع والمخنث والمشارك فى الفتنة وولد الزنا والغلام والعبد والأعرابى .(٣)

● سَدْل الشعر أو فَرْقُه

وقد سَدَل النبى صلى الله عليه وسلم وآله شعره حين هاجر إلى المدينة لكي يتألف اليهود . فلما عاندوه وكذبوه وتآمروا عليه ولم يعد ثمة أمل فى تألفهم ، فَرَقَ شعره . وربما يكون السَّدْل قد جرى قبل الهجرة لتمييز المسلمين من المشركين، وكان الفرق فى المدينة بعد عناد اليهود .

فالسدل أو الفرق سبب لمصلحة شرعية ، فإذا لم يحققها يصير الأَوْلى تركه، والتماس أسباب أخرى .(٤)

● صبغ الشيب

كذلك أوصى النبى ﷺ بالخضاب (أو صبغ الشيب) وقال :« إن اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم »(٥) فالغاية أو المصلحة هى نفسها الغاية من قص الشارب :« فكان أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يُخضبّ بالحناء والكتم »(٦) لكن بعض الصحابة لم يخضب ، ولا أثر أن النبى أنكر عليهم ذلك ،

---

(١) فتح البارى ،جـ ٢ باب٥٤ ص١٨٤

(٢) ابن رشد ، بداية المجتهد ، جـ ١ ص١٧٤

(٣) فتح البارى ، جـ ٢ باب٥٦ ، ص١٨٨ - ١٩٠

(٤) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ١ ص٨٨ - ٨٩

(٥) فتح البارى ، الحديث رقم ٥٨٩٩ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٥ ،ص٩٤

وهذا يدل على أن الأمر للإباحة ، مثل قص الشارب ، ولكن البعض صنع من المسألة قضية خلافية خطيرة ! (١)

ـ وقد اختلف العلماء في العصور التالية في الخضاب ، فقال النووى رحمه الله : إن الخضاب أولى إلا إن كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ ، وأن الذى ينفرد بدونهم بذلك يصير في مقام الشهرة ، فالترك في حقه أولى »(٢) وهكذا نجده يأخذ عادات أهل البلد في الاعتبار عند ترجيح الصبغ أو تركه ، وذلك يدل على أن الأمر للإباحة . وإذا نحن عالجنا المسألة انطلاقاً من الناحية الأصولية ننتهى إلى الحكم نفسه ؛ لأن الصبغ جُعل سبباً لمصلحة شرعية هى : تمييز المسلم من غيره من ظاهره ، فإذا لم يحقق تلك المصلحة ، بل أدى إلى مفسدة ، فقد الشرط مشروعيته وصار الأولى تركه (٣)

وقد شهدت خلافاً حاداً في مسجد في أمريكا عند صلاة الفجر لأن بعض المصلين دأب على القنوت ، وبعض السلفيين يرفضون ذلك ، وكادت الشمس تشرق دون أن يتفقوا على شيء !

ـ فلا نملك سوى أن نسأل الله تعالى البراءة من الغلو لأنفسنا ولإخواننا . لأنه معصية وليس تديناً ، كما يظن الغلاة .

● حماقات غلاة الأمويين !!

ويرفض ابن تيمية غلو بعض الأمويين ، فيقول : « وأما غالبية الشاميين ـ أتباع بنى أمية ـ فكانوا يقولون : إن الله إذا استخلف خليفة **تقبل منه الحسنات وتجاوزله عن السيئات ! وربما قالوا : إنه لا يحاسبه !** ولهذا سأل الوليد بن عبد الملك عن ذلك العلماء ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين : أنت أكرم على الله أم داود ؟ وقد قال له ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾ [ص : ٢٦] (٤)

---

(١) انظر ابن قدامة ؛ المغنى ؛ جـ ١ ، ص٩٢

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ؛جـ ١٠ ، ص٣٥٥

(٣) الشاطبى ؛ الموافقات ؛ جـ ١ ؛ص١٧٠ ـ ١٧٣

(٤) ابن تيمية منهاج السنة النبوية ؛ جـ ١ ص٢٣٢ ـ ٢٣٣